

في بلاط المتنبى

(الحلقة الثامنة)

بقلم الأستاذ: محمد ولد إمام



ودارغ سفتة فخر لقي
في الملتقى والعجاج والعجلة
وسامع رعتة بقاهية
يحار فيها المنقح القول
وربما أشهد الطعاع معي
من لا يساوي الخبر الذي أكفله
ويظهر الجهل بي وأعرفه
والدردز برغم من جهله
وقد والله صدق، فهل شر شعر المتنبى جهل
بعض أهل دهره به؟ وما نحن قنارسة بعد
أكثر من ألف سنة؟
ثم اقرأ معي هذه الأبيات من قصيدة له،
يَهْوَنُ على مثلي إذا رام حاجتي
وقوع الغوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها
يزول وباهي عيشه مثل ذاهب

وسمهرى أروح معتقلة
وليخبر الفخر إذا غدت به
مرتدياً خيرة ومعتلة
أنا الذي بين الآله به الـ
أقدار والمرء حيثما جعله
فهو هنا يعتبر نفسه مقياساً بين الله به
أقدار الناس، ومنازلهم، فمن كان كريمة
عظيم القدر بيان ذلك في تعامله مع أبي
الطيب وبيان أيضاً في شعره. فهو:
جوهرة تفرخ الشراف بها
وغضن لا تسيفها السفلة
إن الكذاب الذي أكاذ به
أهون عندي من الذي نقله
قال الكذاب والتميم أحقر عند المتنبى ممن
يعشي بهما؟
فلا مبال ولا مداح ولا
وان ولا عاجز ولا شكك

أنا ابن من بعضه يهوى أنا الـ
باحث والتجول بعض من نجلة
ولما يذكرك الجدود لهم
من لغزوة والغدوا حيلة
أي أن من يفاخر بالجدود هو فقط من عجز
ونفذت حيله فلم يبق له إلا الفخر بالغابرين
واستدعاء الماضي وأهله، لأن حاضره لا
يسعفه! وأرى أن هذين البيتين يصلحان
لحالاتنا المعاصرة فعالمنا العربي العاجز
والمناخر علمياً وتقنياً غارق في الماضي
وأعجاده الغابرة، لأن حاضره بائس لا مجد
فيه، فترى أغلبنا يستند على عصور النهضة
الإسلامية وما كان فيها من تقدم أيام
عصورها الذهبية، وما ذلك إلا لأن الحاضر
لا مجد فيه.
ونرجع إلى أبي الطيب مع هذه الأبيات
الرائعة،
فخراً لعظم أروح مشتملة

انظر معي إلى هذه الأبيات من إحدى قصائد
المتنبى المشهورة،
أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
وحيداً، وما قولي كذا ومعني الصبر
ويحكضيك الشحط الأول حين تتمعن فيه،
لتعذر هذا الرجل في حقه على أهل عصره،
فهو يطاعن خيلاً الدهر كله بعض فوارسها!
ثم يواصل وصف أخلاقه وشجاعته
واقتحامه،
واشجع مني كل يوم سلامتي
وما كبنت إلا وهي نفسها أمر
تمرسنا بالافات حتى تركتها
تقول أمات الموت أم دمر الذعر؟
وأقدمت إقدام الأتي كان لي
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر
ذرا النفس تأخذ وسعها قبل بينها
فمفتري جاران دارهما العفر
فالمرء قصير والحياة زائلة فخذ بحظك
منها ما دمت قادراً ولا تبال بشيء.
ولا تحسبن المجد زفاً وقيناً
فما المجد إلا السيف والفتك البكر
وتضريب أصناف الملوكة وأن ترى
لك الهبوات السود والعسكر المعجز
وأذكرني قرات مرة لمعشهم أنه لو كان
ظير المتنبى قاتل هذا البيت لقال وتضريب
أصناف الرجال.. ولكن المتنبى لا يرى
كفتنا له إلا الملوكة، والغريب عندي أن
يتشد هذا أمام أمير أو ملك! فانظر شجاعة
الرجل وضيقه بأهل دهره الذين يخسوه
حقسه وتأمروا عليه، ويتعادي في ذلك في
الأبيات التي بعد هذا فيقول،
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
ومن يفتق الساعات في جميع ما له
مخافه فخر فالذي فعل الفخر
وكم من جبال جيت تشهد أنني الـ
جبال ويخر شاهد أنني البحر
وجنبنني حرب السلاطين ففتها
وما يقتضيني من جماجمه الأسر
وأي زابت الفخر أحسن منظرأ
وأهون من مرأى صغير به كبر
فهو يفتق قسرب هؤلاء الملوكة، وكبيرهم
بغير حق فهو يرى نفسه مثله بل أرفع قدراً،
مثل قسولته، وهواذي من الملك وإن كان
لساني يرى من الشعراء!
سنقف قليلاً عند أبيات من لاميته
المسرحية الشهيرة، فنبينا يتناول قضيت
النسب فيقول،

ثلاثية الأبعداد

محاربة الشائعة



• سيدي
محمد
متالي

التجهر هنا لك لا اعتراض لتلاميذ القسم الخارجي الذين يعملون باستداه
من الساعة السابعة والنصف على متن حافلات ثلاث تحملهم من وإلى
المدينة عبر أربع رحلات يومية أيام الدراسة...
ومن الأليات كذلك لكذبة التلاميذ (ذوي الأباء) من الدخول إلى المؤسسة
بأي طريقة كانت...
وعادة ما يصل هؤلاء، على قاتهم، في سيارات شخصية لا يتجاوز أصحابها
عدد أصابع اليد الواحدة...
بعد عشرين دقيقة كانت ساحة المؤسسة خالية من التلاميذ.. وكان
الأساتذة الذين دخلوا للتو من الحس المعجوز للمؤسسة وأمن المدينة
يتجمعون أمام الباب الخلفي لمكتب المدير.. كانوا يتحدثون عن
الحماية من سوتة ما يزيد على ألف مراقب فاضلين ومتحسين...
بعض الآباء لم يزل أبناء من السيارة خوفهم من صدام محتعل بين
التلاميذ والشرطة.. التي أخذ المدير يستدعي السلطات المحلية من أجل
إرسالها لضبط النظام والحفاظ على الأمن العام.. مرت الدقائق قصيرة
بالنسبة لمن تعودوا العكس وشجروا من قاعات الدرس.. ولكنها كانت
طويلة على هيئة التلاميذ التي تسعى إلى أي وسيلة تكسبها هذا
التحرر...
حالة استتار وقصوى يقوم بها الجهازان الإداري والتربوي في المدينة
الذي اتصل على أعلى الهرم ليتأكد من أن الشائعات لا أساس لها من
الصدق.. فالدروس في ثانوية العيون تسير بصفتها نظامية في الوقت الذي
نحرص نحن على الاستمرار ونبايع قادتنا على المشي قدماً في مواصلة ردة
الفعل على هذه الحادثة التي لم تكلف أنفسنا علماء البحث عن مصدرها...
يتواصل...

لم تكن وسائل الاتصال متاحة في منتصف سبعينات القرن الماضي ونحن
بومها لدروس في المستوى الإعدادي... فقد تكون عند بعض مدبري
الثانويات هواتف ثابتة لكنها لا تخرج عن الشبكات الداخلية
للمدينة... فلم يمكن باستطاعتهم المدبر في الدخول الاتصال بالوزارة...
إلا أن حركة البريد كانت نشطة... وكنا نتلقى الرسائل من موزع
البريد مرتين في الأسبوع... وكان يحكي لنا أن يكتب على طرف الرسالة
عبارة... وهي اختصار لعبارة الفرنسية (الأسرة المدريسة)... فكانت
هذه العبارة تكشف من الطابع البريدي الذي كان هو الآخر جرد رخيص...
اجتمع بنا الكبار في ساحة المطعم عند الصباح ونحن نخرج من
المساكن الداخلية لتناول وجبة الفطور... الشهوة بالحبوب والخبز مع
الشكولاتة والزبدة الفرنسية أو الكونفيتير...
كانت وجبة رقيقة في تلك الفترة... ومنا من يأخذ الحليب فقط دون
الشهوة... فكل ذلك متاح على طاولات المطعم التي يتقاسمها في العادة
ثمانية تلاميذ يرأس أحدهم جماعتهم... وعادة ما يكون الأسن من
بينهم...
قبل أن ندخل إلى المطاعم التي تعد عند الصباح الباحث اجتماع بنا قادة
القسم الداخلي من التلاميذ وقالوا إنه في مدينة العيون، التي تبعد عنا
أكثر من ثمانمائة كيلومتر إلى الشرق.. أنه قد قتل تلميذ في مناشات
بين الشرطة وتلاميذ من المؤسسة في إطار مظاهرات نظمها التيار
الناصري الذي كانت مدينة العيون معقلاً من معاقلة...
التعليقات بشأن ردود الفعل تملأ على الطريقة العسكرية...
القرار الأول هو إضراب عن الفصول لعدة ثلاث أيام...
الآلية تتمثل في الخروج من المطاعم مباشرة إلى ملعب فكرة القدر و